المعراج !

المعراج !

عن مالك بن صعصعة – رضى اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم :

" بينما أنا فى الحطيم مضطجعاً . إذ أتانى آت ، فقدّ ما بين هذه إلى هذه فاستخرج قلبى ، ثم أُتيت بطستٍ من ذهب مملوءة إيماناً فغسل بماء زمزم ، ثم حشى ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل ، وفوق الحمار الأبيض ، يقال لها : البرّاق ، يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه ، فانطلق بى جبريل حتى أتى السَّماء الدنيا ، فاستفتح قيل من هذا ؟

قال : جبريل .

قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .

قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم .

قيل : مرحباً به ، فنعم المجىء جاء . ففتح ، فلما خلصتْ فإذا فيها آدم

فقال : هذا أبوك آدم فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فردّ السلام ، ثم قال : مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح ثم صعد بى حتى أتى السماء الثانية ، فاستفتح . فقيل من هذا ؟

قال : جبريل .

قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟

قال : نعم .

قيل : مرحباً به ، فنعم المجىء وجاء ، ففتح ، فلما خلصت إذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة .

قال : هذا يحيى وعيسى ، فسلم عليهما ، فسلمتّ عليه ، فردا ، ثم قالا : مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد بى إلى السماء الثالثة فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال جبريل . قيل ومن معك ؟

قال محمد . قيل و قد أرسل إليه : قال : نعم . قيل مرحبا به ، فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا يوسف. قال: هذا يوسف فسلم عليه، فسلمت عليه ، فردّ ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح و النبى الصالح ..." .

(أخرجه البخارى و مسلم و أحمد و الترمذى و النسائى).

....

هذا الجزء الأول من قصة المعراج التى تصور عروج النبى-صلى الله عليه وسلم- من الأرض إلى السموات السبع ، وهى قصة حافلة بالتشويق و المتعة على مستوى السرد والحوار و الأحداث و المغزى ، وقد استوحاها كثير من الأدباء والشعراء، العرب والأجانب ، فى أعمال أدبية فتحت لأصحابها طريق المجد الفنى والشهرة الأدبية فى مقدمتهم الشاعر العربى الأشهر أبو العلاء المعرى "والشاعر الإيطالى الكبير "دانتى" .

والمعراج معجزة من معجزات نبى الإسلام – صلى الله عليه وسلم – حدثت له عقب محنة كبيرة ألمت به و بالدعوة الإسلامية فى مكة المكرمة ، فقد حدثت فى عام الحزن؛ وهو العام الذى رحلت فيه زوجه خديجة ، رضى الله عنها ، أول من آمن به وصدّقه وشجعه على الصبر و التحمل فى سبيل الله ، كما رحل فى هذا العام عمه "أبو طالب" الذى وقف إلى جانبه و سانده فى مواجهة أذى قريش و حصارها الظالم له و للمسلمين و خاصة فى "شِعْب أبى طالب" ، وفى هذا العام أيضاً أصيب النبى – صلى الله عليه وسلم – بالخذلان والإحباط و الأذى من جانب أهل ثقيف الذين دعاهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك حين سلطوا عليه سفاءهم و أطفالهم يقذفونه بالحجارة ، ويتتبعونه وهو يغادر ديارهم بما يسوؤه ويحزنه .

جاءت معجزة الإسراء و المعراج دعماً له – صلى الله عليه و سلم – ورفعاً لروحه المعنوية و توكيداً لنصرة الله له مهما لقى من متاعب ومن حصار.

فى هذا الجزء الأول من قصة المعراج نتعرف على بعض المفردات التى وردت فيه، لنفهم من خلالها أحداث القصة و سياقها .

.

9

.

والقصة تكشف لنا البيئة التى جرت فيها أحداثها وهى الكعبة المشرفة وفيها **الحطيم**: وهو حجر اسماعيل عليه السلام ، وهو ملاصق للكعبة الزهراء ، والسموات السبع، وتقدم لنا أطراف الأحداث أيضا : النبى – صلى الله عليه وسلم – الذي وصف بالنبى الصالح والابن الصالح : والمقصود بالصلاح هو القيام بالحقوق الواجبة لله وللخلق ، والصالح من الكلمات الجامعة لمعانى الخير ، وجبريل عليه السلام **وهو ما قصده بقوله** : أتانى آت؛ أى أتانى جبريل عليه السلام ، ثم الأنبياء المعنيين بالمعراج ، ووسائل الاتصال وهى البراق . وقد وصفت القصة البراق بأنه دابة أصغر من حجم البغل وأكبر من الحمار شديد السرعة ، **وطرف البراق** : بصره ، والمقصود أنه يضع رجله عند منتهى بصره .أو يضع خطوته فى مجال الطائرات والأقمار الصناعية ومراكب الفضاء وهو ما يؤكد على معقولية الحدث بالمفهوم الإنسانى فى المجتمع ، أوهو ما يعنى واقعيته وإمكانيته بالمفهوم الإلهى ، وفى ذلك رد مفحم لمنكرى المعجزات والمكذبين بالله .

وفى القصة تشويق وإمتاع ، لأنها تدخل بنا إلى عالم قصصى ، نكتشفه أو نكتشف المزيد من ملامحه والتعرف على سماته ، منذ بدايتها بقدّ ما بين هذه إلى هذه ، أى شق صدره – صلى الله عليه وسلم – من النحر إلى ما تحت السّرة ، ثم أعيد : أى تمت إعادة الشق إلى ما كان عليه بتجميع طرفيه ليلتئما مرة أخرى ، كأنه لم يحدث شق ، وتدخل عملية الشق واستخراج القلب وغسله بماء زمزم، تحت باب المعجزة ، التى هى أمر خارق للعادة يختص به الأنبياء وحدهم دون سواهم ، مثل معجزة نجاة إبراهيم عليه السلام من قلب النيران المحرقة ، وعصا موسى عليه السلام التى تحوّلت إلى حيّة تلقف ما يفعل سحرة فرعون ، وشفاء المرضى بإذن الله على يد عيسى عليه السلام. ويجب على المسلم التسليم بالمعجزات لأنها من تمام الإيمان .

وكلما أوغلنا في القصة ، وسرنا مع النبى – صلى الله عليه وسلم – وصاحبه جبريل عليه السلام ، نرى آدم عليه السلام ، ويحيى وعيسى عليهما السلام ويوسف عليه السلام، وكل منهم يحيّى محمداً ويرحب به ويثنى عليه – صلى الله عليه وسلم .

المعراج - ٢

رأينا الرسول – صلى الله عليه وسلم يأتيه جبريل و هو فى الكعبة ، وبعد شق بطنه – صلى الله عليه وسلم و إعادتها يركب البراق و يصعد إلى السموات الثلاث الدنيا فيقابله فى الأولى آدم ، وفى الثانية يحيى و عيسى وفى الثالثة يوسف – عليهم السلام أجمعين . ويكتمل الحديث الشريف الذى روى عن مالك بن صعصعة – رضى الله عنه – بقوله صلى الله عليه وسلم :

"..ثم صعد بى حتى أتى السماء الرابعة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل . قيل: ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبا به ، فنعم المجىء جاء ، ففتح ، فلما خلصتُ إذا إدريس . قال : هذا إدريس فسلّم عليه ، فسلّمتُ عليه فرد ، ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح ، و النبى الصالح .

ثم صعد بى إلى السماء الخامسة ، فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال: جبريل . قيل : ومن معك ؟

قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به، فنعم المجىء جاء فلما خلصت إلى هارون قال : هذا هارون ، فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فردّ .

ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح ، و النبى الصالح .

ثم صعد بى إلى السماء السادسة فاستفتح ،قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل: ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم .

قيل : مرحبا به فنعم المجىء جاء ، فلما خلصتُ فإذا موسى . قال : هذا موسى فسلّم عليه ، فسلّمت عليه فردّ ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح ، و النبى الصالح ، فلما تجاوزت بكى .

....

ها هى رحلة المعراج تصل برسول الله – صلى اللع عليه وسلم – إلى السماء الرابعة وما بعدها حتى السماء السابعة ومن خلالها نتعرف على سكان هذه السموات من الأنبياء

فنرى فى الرابعة إدريس ، وفى الخامسة هارون .. وفى السادسة موسى ، وفى السابعة إبراهيم ، عليهم جميعا الصلاة و السلام .

كل نبى من هؤلاء الأنبياء يمثل صورة خاصة فى علاقتها – بمحمد صلى الله عليه وسلم ، نكتشفها من خلال ترحيبهم به ، فهذا يصفه بالأخ الصالح أو الابن الصالح ، ولكنهم جميعا فى السموات السبع ، يصفونه بالنبى الصالح ، آدم وإبراهيم عليهما السلام ، يرحبان به ابنا صالحاً بوصفه ينتسب إليهما فى سلسلة الأباء والأجداد .

ووردت أقوال عديدة، فى اختصاص كل نبىّ ممن ورد ذكرهم فى الحديث بسماء معينة ، و أبرز الأقوال فى هذا السياق ما قيل عن بيان تفاضل الأنبياء ففى السابعة : إبراهيم ، والسادسة موسى والخامسة هارون ، والرابعة إدريس، والثالثة يوسف، والثانية يحيى وعيسى، والأولى آدم عليهم السلام أجمعين . ويبدو – والله أعلم – أن هذا الترتيب يرتبط بموقف النبى من قومه ومدى تأثير؛ فيهم زمن بعثته وتأثيرهم فيه أيضا ، ولعلنا نستشف ذلك من بكاء موسى عليه السلام بعد أن تركه محمد – صلى الله عليه وسلم – وجبريل . وكانت إجابته دقيقة وواضحة "أبكى لأن غلاماً بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل من أمتى" ، فقد كثرت مخالفة أمته له، وقل أتباعه عن أتباع محمد – صلى الله عليه وسلم – مما قلل من أجره ، لأن لكل نبى مثل أجر من اتبعه .

ولعل هذا يقودنا إلى تفسير آخر – يشير إلى أن الحديث عن هؤلاء الأنبياء الذين قابلهم محمد – صلى الله عليه وسلم – دون غيرهم ، أوحى بما سيقع له – صلى الله عليه وسلم – مع قدومه ، وهو يماثل أو يشابه ما وقع لهؤلاء الأنبياء مع أقوامهم . فقد خرج النبى – صلى الله عليه وسلم – من مكة إلى المدينة وحدث لهم فى أول هجرته عدواة شديدة من جانب اليهود تشبه ما حدث لعيسى ويحيى ، وجرى له من قريش وهو أهله الإيذاء والحرب ، وهو يشبه ما جرى ليوسف من جانب إخوته.. وكان وجود إدريس عليه السلام فى السماء الرابعة دليلاً على علو مكانته عند الله تعالى وهى تشبه مكانة محمد – صلى الله عليه وسلم – عند ربّه أما هارون عليه السلام ، فقد أحبه قومه بعد إيذائه ، وهو ما حدث لمحمد – صلى الله عليه وسلم – مع قريش ، ومثله ما جرى مع موسى عليه السلام

وقومه . وقيل إن المشابهة مع إبراهيم عليه السلام ترتبط بالبيت المعمور الذى بناه مع إسماعيل عليهما السلام، وإليه حجّ محمد – صلى الله عليه وسلم – واعتمر فى آخر عمره .

ومن خلال هذه الرحلة التى وصلت حتى الآن إلى السماء السابعة نتعرف على العديد من ملامح هذا العالم المحجوب عن البشر، الذى لم يتح إلا لمحمد – صلى الله عليه وسلم – فى رحلة المعراج .

إنه عالم تسكنه الملائكة الذين انقطعوا للعبادة والطاعة وتنفيذ المهام التى توكل إليهم، فهناك من يحرس أبواب السماء ولا يفتحها إلا بإذن، وبعد استفهام أو سؤال عمن يريد الدخول إليها .

وهو ما يقدم لنا صورة للسلوك السوّى فى كيفية التعامل عند دخول البيوت المغلقة والأماكن غير المألوفة، حيث يجب الاستئذان، والتعريف بالنفس تعريفاً صريحاً والدخول بعد الإذن .

كما يقدم لنا صورة للأدب النبوى الجميل فى الترحيب بالنبى الجديد، والثناء عليه بما يستحق "مرحبا بالأخ الصالح أو الابن الصالح، والنبى الصالح" وتأمل دلالة الوصف "بالصالح" لتدرك أن الصلاح فطرة بشرية يسعى إلى تحقيقها الأسوياء، والصلاح غاية نبوية يعمل من أجلها جميع الأنبياء، فقد استخدم جميعهم وصف "الصالح" لتدرك أن الصلاح فطرة بشرية يسعى إلى تحقيقها الأسوياء، والصلاح غاية نبوية يعمل من أجلها جميع الأنبياء، فقد استخدم جميعهم وصف "الصالح" للنبى – صلى الله عليه وسلم، ولم يستخدموا وصفاً سواه .

وقبل الترحيب والثناء، رأينا "السلام" هو التحيّة النبوية من لدن آدم حتى محمد – صلى الله عليه وسلم – و"السلام" أيضاً هو ردّ التحية ..وذلك يشير إلى سعى الإسلام منذ آدم عليه السلام، لإحلال السلام فى النفوس والقلوب والمجتمعات حتى تتمتع بالأمن والرخاء، ولكن هل يفقه ذلك المنهج أولئك الأشرار الذين يشعلون النيران فى كل مكان لتحقيق مطامعهم وأغراضهم الشريرة ؟

المعراج -٣

فى حديث المعراج عن مالك بن صعصعة – رضى الله عنه – روى عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كيف عُرج به ، وقابل الأنبياء فى السموات السبع ، وبعدها يقول الحديث على لسانه – صلى الله عليه وسلم .

"..ثم رفعتْ لى سدرة المنتهى ، فإذا نبقها مثل قلال هجر ، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة .

قال: هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار : نهران باطنان ، ونهران ظاهران.

قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان ، فنهران فى الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات .

ثم رفع لى البيت المعمور ، فقلت : يا جبريل ، ما هذا ؟

قال : هذا البيت المعمور ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه آخر ما عليهما ، ثم أُتيتُ بإناء من خمر و إناء من لبن ، وإناء من عسل فأخذت اللبن .

فقال : هى الفطرة التى أنت عليها و أمتك .

ثم فرض على خمسون صلاة كل يوم ، فرجعت فمررت على موسى .

فقال : بم أمرتَ ؟ قلتُ أمرت بخمسين صلاة كل يوم ، قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم ، وإنى والله قد جربت الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عنى عشراً .

فرجعت إلى موسى ، فقال مثله ، فرجعتُ ، فوضع عنى عشراً . فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعتُ فوضع عنى عشراً. فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعتُ ، فأمرت بعشر صلواتٍ كل يوم فقال مثله ، فرجعت ، فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى .

فقال: بم أمرت؟

قلت: أمرتُ بخمس صلوات كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإنى قد جرّبت الناس قبلك ، و عالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك .

قلت : سألت ربى حتى استحييت منه ، ولكن أرضى و أسلم ، فلما جاوزت نادانى مناد : أمضيت فريضتى ، و خففت عن عبادى " .

....

هذا الجزء من القصة النبوية التى تضمنها الحديث الشريف ذروة الأحداث أو ذروة الرحلة ، لأنه يقدم لنا الرسول – صلى الله عليه وسلم – عند سدرة المنتهى والأنهار الأربعة والبيت المرفوع ، ثم وهو الأهم فرض الصلاة خمس مرات فى اليوم والليلة على المسلمين .

وهذا الجزء حافل بالدلالات و المعانى التى تكشف عن تكريم الحق سبحانه لنبيه – صلى الله عليه وسلم . و امتياز أمته بالفطرة السليمة ، وحرصه – صلى الله عليه وسلم – على هذه الأمة واستفادته من تجربة من قبله من النبيين ، وتميّزه بالحياد و عدم الإلحاح فى السؤال .

يرى الرسول – صلى الله عليه وسلم – سدرة المنتهى مرفوعة إليه ، وهى شجرة عظيمة خاصة ، لها ثمر يسمى النبق ، أو السدر ، وحجم ثمرته يبلغ حجم الجرّة التى تملأ بالماء أو القلة التى تستخدم للغرض نفسه . أى إن ثمرتها كبيرة وثمارها تشبه قلال هجر فى ضخامتها و كبرها . وعند سدرة المنتهى يشاهد أربعة أنهار ، منها النيل و الفرات و كلاهما يحيط بالجزيرة العربية موطن الإسلام ومنشئه ، مع نهرين آخرين من أنهار الجنة ، ثم يرفع إليه البيت المعمور الذى يزوره سبعون ألف ملك يوميا ..والأهم من ذلك هو هذا الاختبار الذى يجرى للرسول – صلى الله عليه وسلم – و ينجح فيه باختيار المطلوب الصحيح السليم فقد عرض عليه إناء من الخمر و آخر من اللبن ، وثالث من العسل فيختار اللبن ، فيُخْبر عليه السلام ، أن اختياره هو الفطرة السليمة التى يكون عليها هو و أمته .

إسلام عمرو بن عبسة

إسلام عمرو بن عبسة -١

عن أبى أمامة قال عمرو بن عبسة السلمى رضى اللّه عنه :

كنت وأنا فى الجاهلية ، أظن أن الناس على ضلالة ، و أنهم ليسوا على شىء وهم يعبدون الأوثان ، فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً ، فقعدت على راحلتى ، فقدمت عليه ، فإذا رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – مستخفيا ، جرءاء عليه قومه ، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة ، فقلت له :

- ما أنت ؟ قال :" نبى ".

فقلت : وما نبى ؟ قال : " أرسلنى الله "

فقلت : وبأى شىء أرسلك ؟ قال :" أرسلنى بصلة الأرحام ؟ وكسر الأوثان ، وأن يوحد الله لا يشرك به شىء " .

قلت له : فمن معك على هذا ؟ قال :" حر وعبد " قال : ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به .

فقلت : إنى متبعك . قال :" إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا ، ألا ترى حالى ، وحال الناس ؟! .

ولكن ارجع إلى أهلك ، فإذا سمعت بى قد ظهرت فأتنى " قال :

فذهبت إلى أهلى ، وقدم رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – المدينة وكنت فى أهلى فجعلت أتخبّر الأخبار و أسأل الناس ، حين قدم المدينة ، حتى قدم علىّ نفر من أهل يثرب ، فقلت : ما فعل هذا الرجل الذى قدم المدينة ؟ .....

(حديث صحيح : أخرجه مسلم و آخرون).

.....

يروى هذا الحديث قصة إسلام صحابى جليل من مدرسة النبوة الأولى ، هدته فطرته إلى الإيمان بالدين الجديد ، ورسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – فى مرحلة مبكرة من مراحل الدعوة الإسلامية ، ومن خلال هذه القصة نكتشف أبعاداً

عديدة فى شخصية النبى الكريم – صلى الله عليه وسلم – تتمثل فى وعيه الحاد بفقه الواقع ، و منهجه فى الدعوة ، وهى لما تزل محصورة بين أفراد قلائل يعدّون على أصابع اليد الواحدة .

ثم نتعرف من خلال القصة النبوية على تشريع الصلاة فى مواقيتها المحددة وفقاً لحركة الشمس منذ الشروق حتى الغروب ، وفى الوقت ذاته نتعلم كيفية الطهارة أو الوضوء لأداء الصلاة ، وفضل الوضوء على المسلم و تأثيره عليه ماديا ومعنويا ، وفى الدنيا و الآخرة ..ثم نرى منهجاً فى توثيق رواية ما يصدر عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم .

وعمرو بن عبسة السلمى ، رجل هدته فطرته ، وهو فى الجاهلية إلى أن الناس على ضلالة ، وأنهم بعيدون عن الصراط المستقيم ، وأن منهجهم فى الحياة غير سوىّ، لأنهم يعبدون الأوثان من دون الله ، مع أنها لا تضرّ ولا تنفع ، وكأنه يتشوق إلى شىء آخر ، يغيّر هذا الواقع العبثى الذى لا تستقيم معه الحياة ، بعبادة آلهة حشبية أو حجرية لا تغنى عن نفسها شيئاً .

عندما سمع عمرو بن عبسة السلمى بأخبار النبى – صلى الله عليه وسلم – لم يتردد فى الذهاب إليه ، و التعرّف عليه ، فأشواقه إلى الحقيقة و المعرفة ، تدفعه دفعاً إلى السعى نحو هذا النبى الجديد الذى يتناقل الناس أخباره فيما يشبه السرّية، ويصرّح ببساطة شديدة تحرّكها الفطرة قائلاً: "فقعدت على راحلتى، فقدمت عليه"، وهو حين يُقدم على الرسول – صلى الله عليه وسلم – يجده مستخفيا ، أى يعيش بعيداً عن معرفة المجتمع الوثنى و صخبه الهادر بالشرك و الجاهلية ، ويعلم عمرو أن النبى – صلى الله عليه وسلم – مستهدف من قومه "جرءاء عليه قومه" أى متجرئون عليه و متسلطون ، يؤذونه بالقول والفعل فتلطف ، أى دخل فى سرّية ، حتى لا يصطدم بأحد ، ويستطيع مقابلته فى أمان، ويتعرف على ما لديه من جديد، شغله ، وشغل الناس فى مكة وما حولها .

ويجرى الحوار بين عمرو والنبى – صلى الله عليه وسلم – معبرّا عن رغبة عمرو فى الاستشراف والاستكشاف ، فيسأله :

ما أنت ؟ لم يقل له : من أنت ؟ و لكنه يسأله عن صفته .

فيرد عليه النبى – صلى الله عليه وسلم – قائلاً : أنا نبىّ .

ويستفهم عمرو عن معنى نبىّ قائلاً : وما نبىّ؟ فيجيبه صلى الله عليه وسلم : أرسلنى الله .

فيسأل : وبأى شىء أرسلك ؟ فيشرح له الرسول – صلى الله عليه وسلم :-

" **أرسلنى بصلة الأرحام ، وكسر الأوثان ، وأن يوحّد الله لا يشرك به شيئاً** " .

وسوف نجد فى هذا البيان ترتيباً ذكّياً يتناغم مع طبيعة العرب واهتماماتهم الاجتماعية والإنسانية .

فصلة الرحم تمثل آصرة قوية تشد أفراد الأسرة والعائلة والعشيرة والقبيلة بعضهم إلى بعض ، ثم ينتقل إلى " كسر الأوثان " بوصفها نشازاً فى وضع اجتماعى وثقافى لا يليق بأهله أن يعبدوا تماثيل خشبية أو حجرية لا تضر ولا تنفع ، ثم ينتقل إلى العنصر الأساسى وهو التوحيد الذى ينفى الشرك و تعدد الآلهة ..

هذا البيان أقنع عمرو بن عبسة ، الرجل الجاهلى الذى يملك فطرة نقية ، دفعته ليسأل عمن مع الرسول – صلى الله عليه وسلم .

فيقول له :" **حرّ وعبد** " يقصد أبا بكر وبلالاً ممن آمنوا أو من أول من آمنوا . وهنا يعلن عمرو أنه يتبعه و يؤمن به – صلى الله عليه وسلم – ولكنه – صلى الله عليه وسلم – يردّ عليه بما لم يتوقع : إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا ، ألا ترى حالى ، وحال الناس ؟

إسلام عمرو بن عبسة -٢

تتواصل قصة إسلام عمرو بن عبسة ، بعد تعرّفه على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعودته إلى أهله انتظاراً لأخبار النبى – صلى الله عليه وسلم – وأتباعه؛ وسأل عنه بعد وصوله إلى المدينة .

فقالوا: الناس إليه سراع ، وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك . يقول عمرو بن عبسة :

فقدمت المدينة فدخلت عليه ، فقلت يا رسول الله أتعرفنى ؟

قال : " نعم ، أنت الذى لقيتنى بمكة " .

قال: فقلت: بلى،يا نبى الله أخبرنى عما علمك الله وأجهله،أخبرنى عن الصلاة ؟

قال : " صل صلاة الصبح ، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس ، حتى ترتفع فإنها تطلع حين تطلع بين قرنى شيطان ، وحينئذ يسجد لها الكفار ، ثم صلّ ، فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح ، ثم أقصر عن الصلاة ، فإنها حينئذ تسجر جهنم ، فإذا أقبل الفىء فصل ، فإن الصلاة مشهودة محضورة ، حتى نصلي العصر ، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرنى شيطان ، وحينئذ يسجد الكفار " .

.....

حين عرف عمرو بن عبسة أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – معه حر و عبد يقصد أبا بكر و بلالا- رضى الله عنهما - ممن آمنوا به ، قال عمرو : إنى متبعك ، ولكن الرسول – صلى الله عليه وسلم – وهو يدرك جيداً طبيعة الواقع ، أو ما نسميه الآن " **فقه الواقع** " قال لعمرو :" إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا ؟ ألا ترى حالى ، وحال الناس ؟ !

كأن الرسول – صلى الله عليه وسلم – يشفق على عمرو ما سوف يلاقيه من عنت قريش وأذاها، وكانت لا تترك مسلماً آمناً فى حاله، ولكنها تلاحقه بالسب والإهانة والأذى.

ويعرض الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم - على عمرو عرضاً واقعيا موضوعيا : ألا ترى حالى ، وحال الناس ؟ وهو بالتأكيد حال لا يسّر ولا يصبر عليه إلا أولو العزم من الرجال ، شرط أن يكونوا من أهل مكة ، وليس من خارجها مثل عمرو بن عبسة .

وتكون نصيحة الرسول – صلى الله عليه وسلم – "**ارجع إلى أهلك ، فإذا سمعت بى قد ظهرت فأتنى**" ، وهنا نستشف تطلع النبى – صلى الله عليه وسلم – إلى المستقبل ؛ وإحساسه بنصرة الله فى قادم الأيام ، فيقول لعمرو : فإذا سمعت بى قد ظهرت أى انتصرت ، فأتنى ، أى تعال إلىّ ومارس إيمانك ودورك مع بقية المسلمين المنتصرين .

ويستمع عمرو إلى النصّيحة النبوية ، ويرجع إلى أهله ، وتنقسم أخبار الرسول – صلى الله عليه وسلم ، ويعرف أنه هاجر إلى المدينة المنورة واستقر بها ، فيتخبّر الأخبار أى يسأل عن أخباره – صلى الله عليه وسلم – وحين يلتقى بجماعة من أهل يثرب **(المدينة المنورة)** يسألهم : ما فعل هذا الرجل الذى قدم المدينة ؟ وهو ما يدل على إنشغاله بالرجل وما قاله له انشغالاً يملأ عليه فكره ووجدانه ، فيجيبونه :

" الناس إليه سراع ، أى يسارعون فى دخول الإسلام ، وقد أراد قومه قتله فى إشارة إلى المؤمرة التى قادها مشركو مكة ليلة الهجرة و أرادوا بوحى الشيطان أن يتفرق دمه فى القبائل ، فأنجاه الله من مؤمرتهم ، ورد كيدهم فى نحورهم ولم يستطيعوا النيل منه .

بناء على هذه الأخبار السارة المفرحة لعمرو بن عبسة ، يقرر الذهاب إلى المدينة ويلتقى بالرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – و يدخل عليه ، ويسأله : أتعرفنى ؟

وتكون الإجابة : " نعم ، أنت الذى لقيتنى بمكة "

وهنا نجد ميزة يتميز بها الأنبياء ، والدعاة عموما ، ولكنها خصوصية متفوّقة للرسول – صلى الله عليه وسلم – حيث يتذكر بعد وقت طويل و أحداث كثيرة ، رجلاً جاءه فى وقت عصيب ، ليتبعه ، ولكنه يرد طالباً منه الانتظار حتى ينتصر ، وها هو الرجل يأتيه ويسأل عن فرائض الدين ، وعما يجهله ، ويطلب أن يتعلّم مما علم الله رسوله – صلى الله عليه وسلم – ويبدأ بالسؤال عن الصلاة أو مواقيتها بمعنى أدق .

ويشرح الرسول – صلى الله عليه وسلم – لعمرو بن عبسه مواقيت الصلاة ، وفقا للمواصفات السائدة فى مجتمع الزمان الذى لم تكن لديه آلات أو أدوات يتعرف بها الناس على الأوقات والأزمنة ، كانت الشمس والقمر ، والليل والنهار ، هى الأدوات أو الآلات التى يسترشد بها الناس ، فالصبح معروف وقته قبيل شروق الشمس . أما بعد شروقها فهذا وقت تكره فيه الصلاة ، لأن بعض الكفار يسجدون للشمس من دون الله عقب طلوعها ،

وهنا تعبير نبوى شريف " **فإنها تطلع بين قرنى شيطان** " ، والقرنان هما جانبا الرأس فى الداية ، ويقال إن قرنى الشيطان هما حزبه و أتباعه .

بعد طلوع الشمس ، وبدء الضحى الذى تنتهى فيه صلاة الكفار ، تباح صلاة المسلم فهى مشهودة بالملائكة و محضورة بأهل الطاعات و الالتزام ، ثم تأتى صلاة الظهر عندما تستوى الشمس فوق الرأس حتى "**يستقل ظل الرمح**" وكان أهل البادية إذا أرادوا معرفة منتصف النهار وهو موعد الظهر ركزوا الرمح فى الأرض ثم نظروا إلى ظله ، فإذا كان تحته عرفوا أن هذا هو موعد الظهر أو منتصف اليوم .

ثم يطلب الرسول – صلى الله عليه وسلم – من عمرو أن يقصر عن الصلاة بعدئذ فإنها حينئذ "**تسجر جهنم**" أى توقد إيقاداً بليغا ، فإذا أقبل الفىء ، أى الظل ، فصل فإن الصلاة مشهودة محضورة ، حتى تصلى العصر ....ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرنى شيطان ، وحينئذ يسجد لها الكفار" وهذا وهو سر كراهية صلاة النوافل وقت الشروق ووقت الغروب .

إسلام عمرو بن عبسة -٣

التقى عمرو بن عبسة بالرسول – صلى الله عليه وسلم – فى مكة قبل الهجرة، وأراد اتباعه ، ولكنه – صلى الله عليه وسلم – ردّه إشفاقاً عليه، حتى ينتصر الإسلام و يظهر على الكفر، وتتبع عمرو أخبار النبى -صلى الله عليه وسلم- حتى هاجر إلى المدينة وانتصر، فذهب إليه واتبعه، وسأله أن يعلمه مما علمه الله، فسأله عن الصلاة و مواقيتها ثم سأله قائلاً :

" – **يا نبى الله ، فالوضوء حدثنى عنه ؟ قال :**

" ما منكم رجل يتوضأ يقرب وضوءه فيتمضمض و يستنشق فينتثر إلا خرت خطايا وجهه و فيه ، وخياشيمه ، ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء .

ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرت خطايا يديه من أنامله مع الماء ، ثم يمسح رأسه إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء ، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلا خرت خطايا رجليه مع أنامله مع الماء . فإن هو قائم فصلى فحمد الله وأثنى عليه و مجده بالذى هو له أهل و فرغ قلبه لله ، إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه" .

....

بعد أن سأل عمرو بن عبسة النبى – صلى الله عليه وسلم- عن الصلاة ومواقيتها ووضح له الرسول – صلى الله عليه وسلم- مواعيد الصلاة، وفقاً للطريقة السائدة فى الجزيرة العربية آنئذ ، و المعتمدة على تعاقب الليل و النهار ، و الشمس والقمر ، فإن عمراً سأل عن الوضوء ، و الوضوء هو المدخل المهيئ لإقامة الصلاة ، ويبيّن له الرسول – صلى الله عليه وسلم – طريقة الوضوء أو كيفيته الصحيحة التى ينبغى على المسلم أن يتبعها وهو يتوضأ .

ونجد فى الحديث الشريف وصفاً تفصيلياً لطريقة الوضوء ، ومع هذا الوصف بيان للقيمة أو الفائدة المعنوية الإسلامية التى تعود على المسلم وهو يتوضأ .

والفائدة الأولى التى يحصدها المسلم حين يبدأ الاستعداد للوضوء بالمضمضة والاستنشاق و الاستنثار ، هى سقوط خطايا وجهه و فمه و أنفه ... وعبّر عنها الرسول – صلى الله عليه وسلم – "**خرت خطاياه**" ، و التعبير بخرّ أقوى من التعبير بسقط ، لأنه يعنى السقوط السريع ، الذى يعنى إزلة الخطايا بأسرع ما يمكن كأنها لم تكن ...والأمر ذاته يتكرر عند غسل الوجه " **خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء** " ، و يتكرر أيضا مع غسل اليدين إلى المرفقين ، ومسح الرأس ، وغسل القدمين إلى الكعبين ..

وبعد الوضوء ، إذا أقام المسلم الصلاة و حمد الله و أثنى عليه و مجدّه بالذى هو له أهل و فرغ قلبه لله ، " **إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه** " .

وسف نلاحظ هنا أن المسألة فى الوضوء والصلاة ، ليست مجرد طقوس آلية أو حركات مادية ، أو تمتمات كلامية ، ولكنها مشروطة " **بتفريغ القلب لله** ". وهذا الشرط هو الذى يفرق بين الإيمان الذى ينبع من القلب ، والإسلام الشكلى الذى يتمثل فى أقوال وأفعال بعيدة عن الشعور والإحساس والوجدان .

إن كثيراً من الناس ، يظنون أن الأداء الآلى للعبادات عموماً ، وللصلاة والوضوء خصوصاً ، يسقط عنهم الخطايا ، أو يجعل الخطايا تخر أو تسقط مع غسل وجهوهم وأيديهم ومسح رءوسهم وغسل أقدامهم ، وأداء الصلاة بالأقوال والأفعال المعروفة .إن تفريغ القلب لله " أى عدم شغله بما عدا الله من أمور الدنيا وأحوالها ومشكلاتها وقضاياها ، هو مناط إسقاط الخطايا والذنوب ، وتطهير الإنسان كأنه ولد حالاً من بطن أمه .

يدخل بعض الناس إلى الوضوء والصلاة، وهو مشغول بالمكسب والخسارة، والثأر والإنتقام ، والحلم بهذا المنصب أو ذاك ، بتحقيق هذا الأمل أو غيره ، ويظل مشغولاً حتى يسّلم من الصلاة ، وهو لم يكسب منها سقوط الخطايا أو محو الذنوب ، لأن قلبه كان ممتلئاً بشىء آخر ، غير الله ، لذا فإن " **تفريغ القلب** " هو أساس الفائدة المعنوية الإسلامية التى تعود على المسلم الذى يخلص العبادة لربّه .

بقى أن نشير إلى نقطة مهّمة فى سياق القصة النبوية التى رواها أبو أمامة عن عمرو بن عبسة السلمى ، تتعلق بتوثيق رواية الحديث الشريف ، فقد سأل أبو أمامة عمراً :

- يا عمرو بن عبسة ، انظر ما تقول فى مقام واحد ، يعطى هذا الرجل .

فقال عمرو بن عبسة : يا أبا أمامة ، لقد كبرت سنى ، ورقّ عظمى ، واقترب أجلى وما بى حاجة أن أكذب على الله ، ولا على لارسول الله .

لو لم أسمعه من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلا مرة ، أو مرتين ، أو ثلاثاً – حتى عدّ سبع مرات – ما حدثت به أبداً ، ولكنى سمعته أكثر من ذلك .

وهذا ما يؤكد حرص الصحابة رضوان الله عليهم على تحرى الحقيقة ، وتوثيق ما يسمعونه عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى ينقلوا إلى الناس ما صحّت روايته ، وتأكدت صحته ، لأنهم يدركون جيداً ، أن الناس ستتبع ما يقولون ، ويتأثرون به فى تفكيرهم وسلوكهم ، ولهذا نجد أبا أمامة يستوثق من عمرو ومن صحة كلامه " **انظر ما تقول** " أى تأكد مما تقول وتذكر جيداً ما سمعته عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولا يجد عمرو غضاضة من تعداد المرات التى سمعها ، وتأكيده على ما سمع ، تحرياً وتوثيقاً ، وهو ما يقدم نموذجاً لمنهج الصحابة رضوان الله عليهم ، وصدقهم ، وإخلاصهم فى التبليغ عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم وعلى آله و أصحابه وسلم .